ما قاله كبير وزراء جلالة الملكة وهو بمثابة اعتراف رسمي بان الخسائر التي أصابت رعايا الدول الاجنبية في بلاد الدولة لم تكن الا بسبب الدسائس الانكليزية ومع هذا فان حكومات أوروبا تطالب الباب العالي بالتعويضات ولو أنصفت لطالبت اللورد سالسبوري باقواله وطالبته بما أصاب رعاياها من الخسائر ولكن من أين يأتي الانصاف والخلاف بين دولة شرقية وبين بعض الدول الاجنبية (الرائد المصري)

منتدياتنا العمومية واحاديثها (*

(لفضيلة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده الشهير)

ان احاديث الامم تدور على محور أفكارها اذ اللسان هو المترجم عما يختلج بالضمير من الصور المحفوظة والمعاني المتخيلة على اختلاف أشكالها وتنوع فنونها فباختلاف صنوف البشر في المعارف والامزجة تتباين مفاوضاتها وأحاديثها وتتشعب مجادلاتها ومحاوراتها وان تواريخ الامم الغابرة وحوادث الملل الحاضرة لترشدنا الى ذلك باجلى بيان فهذه الامة العربية في صدر الاسلام وقبيله لما مال عنصرها الى التحبب في خلق المرأة وحملتها شهامة النفس على الجولان في ميادين الغزو والفتوح قصرت أحاديث رجالها على ما يتعلق بحرب ماضية ومعركة آتية تعقد مجالسها على ذكر جياد الخيل ومحاسنها شارحة معايب الاقواس وأوتارها منتقلة الى

(*) فاتحة العدد العشرين الصادر في يوم الثلاء ١٤ ربيع الاول سنة ١٣١٦

الكلام عمن اشتهر من رجالها بالاقدام والبسالة والانتصار وقصائدهم الشعرية مشحونة باوصاف الحماسة وخطبهم النثرية موقوفة على مدح النزال والبراز وبقيت هكذا أحاديثهم الى أن ضعفت تلك الحواس واستعيض عنها بالميل الي الراحة والانغماس في النعيم فتولد فيهم من ذلك المحبة والعشق ولهجت شعراؤهم بأوصاف الغزل بعد الحماس وبنعت الحاجبين والخصر بعد الاسهاب في وصفي القوس والوتر

وهذه اليونان لما كانت ديارها مهد الحكمة ومطلع شموس العرفان دارت أحاديث قومها في المجامع على تحديد العلوم وتبيين مهايا الاجناس والفصول يطلب الواحد منهم منزل صديقه ليتحاور معه في كيفية انتاج الاقيسة المنطقية مع تغاير أشكالها فيطول بينهما الحديث وهما بين مثبت وسالب وممترض ومجيب وهذا في حال كون المجالس الاخرى غاصة بجماهير النبلاء . فئة تغوص في البحث عن أمزجة المواد وعناصرها ، وأخرى تطلق عنان اللسان لاستكناه حركات الافلاك ومراكزها ، فاذا عقدوا عزائمهم على المزايلة والانصراف ودعتهم أوقات أحاديثهم شاكرة لهم على ما أودعوا فيها من تقرير المسائل وازالة الحجاب عن كثير من المشكلات والمعضلات واستقبلتهم الايام بوجه باش وثغر باسم فرحة بما سيكون لها في بطون التواريخ مرسوما بمداد الثناء على صفحات الاعصار والدهور لما ستبرزه فيها أفكار هؤلاء القوم الى عالم الوجود من المطالب العالية المؤيدة بالبراهين الصحيحة والحجج السديدة وهذا مع محافظتهم وقت المحاورة والجدال على رعاية الآداب وحرمة قوانين المباحثة

وهذه أمم أوربا شعبت مجالسها ، وتنوعت مواضيعها ، تحمل الينا

الجرائد من أخبارها مالا نكاد نصدقه لولا علمنا بوفرة معلوماتهم، وكثرة مخترعاتهم ، فيوما نسمع بان ذوي الشركات التجارية اجتمعوا للمداولة فيما يلزم اتخاذه لانشاء بنك مالي يكون مركزه في احدى الممالك الاسيوية مثلا فتطول بينهم المخابرة في ذلك ويعلو صوت الخلاف بين أعضائها فمنهم من يرجح انشاءه في الاملاك الفلانية من تلك القارة محتجا بان فلاحي تلك الديار يقترضون النقود بفوائد باهظة لاحتياجهم وشدة فقرهم فتكون الثمرة أجزل والربح أوفر مما لو أنشىء هذا البنك في احدى الديار الافريقية التي أصبحت لخصب تربتها ووفرة حاصلاتها وأخذ الاموال الاميرية منها بتقسيط عادل لاتحتاج الى استقراض من مالنا بل ربما اذا دامت لنا هذه الحال يتوفر لها كثير من ايراداتها التي تقتدر بها على انجاز مشروعات عمومية حتى تصير بذلك معادلة لاعظم ممالك أوربا في الثروة واليسار فيجاوبه الآخر قائلاً ان الاجدر بنا أيها الشريك أن نعدل عن انشائه في أي مركز من مراكز آسيا مطلقا الى اتخاذه بديار مصر وأما ماقيل من أن تخفيف الضرائب عنها مع حسن تربتها وكثرة ايراداتها يجعلانها غنية عن الاستقراض فذلك انما يكون لو رجع فلاحها عن سرفه وسفهه والا فما دام على هذه الحال فانه يكون أبداً مثقلا بديوننا يقرع أبوابنا آناء الليل وأطراف النهار ولو أثمرت أرضه ذهباً وعوفي من جميع الضرائب سرمدا فانه على مايقال رهن عند أحد البيوت (المالية) فيما ما يجاوز العشرين في المائة من أطيانها تأميناً على ما أخذ منه من النقود في مدة لاتزيد عن العام كثيراً ، فيستحسن الحضور بيانه ويختم الجلسة بالعزم على الشروع فيما قصدوا ليدركوا من الربح مثل من سلفوا

وينما هم كذلك ترى فئة أخرى تترى في مد سكك حديدية في احدى الايالات المشرقية وانشاء أسلاك برقية فوق البحار وتحتها تسهيلا للمواصلات التجارية وإحكاماً للعلاقات الدولية وأخرى مجتمعة لتختير من بينها نبيلا يكون رسولا من قبلها عند رجال احدى البلاد فيعقد معها شروط التزام مصالح عديدة وأراضي فسيحة ومياه عذبة ما كانت أهل أهل تلك الديار في حاجة الى التزامه . وترى على مقربة من هذه الفئات جماهير متألبة وجماعات متضافرة يحسنون صنع الخطابة ولا يجهلون تاريخ الخليقة يقلبون العالم بين أصابعهم ويقطعون وجه البسيطة في أقل من لمح البصر وهم جلوس يتحادثون يعينون أوقات الفرص الملائمة للاستيلاء على تلك الجزيرة أو هذه الامارة أو ذلك الاقليم . يستطلعون الرسائل المتوالية الورود من أبناء جلدتهم المنبثين في انحاء المعمورة لاستكشاف خبايا القبائل والشعوب التي هم بين ظهرانيهم يذللون المصاعب ويمهدون طرق الاستيلاء والفتوح ونحن عن كل ذلك غافلون نواصل الليل بالنهار في اللهو واللعب . بلغت منا الخرافات والمهذيانات مبلغاً جسيما حتى استحوذت علينا فانستنا ذكر الحقائق النافعة والمصالح المهمة وصارت تلك الاغلاط الفاسدة كملكات للنفس يتعسر زوالها الا بذهاب الارواح والاشباح . تنقد عندنا المجالس ولكن على ذكر أنواع الخمور والمسكرات يطرب المجتمعون فيها بذكر أوصاف الغيد الحسان ويصرفون ثلثي الليل على قهاويهن (هكذا اصطلح والا فهي مواضع رجس ودنس) يشربون فيها من المواد الممزوجة بالعقاقير السامة قدرا لا تسوغه طباع الوحوش الضارية ، ولا الاسود الكاسرة ، وفي خلال ذلك يتناقشون ويتخاصمون

حيث ان كلا منهم يفضل مألوفه من ذلك بل مألوفات أصحابه ويمدد أوصافه، ويذكر محاسنه، ويشرح مزاياه، من حور عيون، ورقة خصور وعذوبة منطق، وما شاكل ذلك. ويحتج عليه بأن فلانا لا يبيت في ذلك المخدع ولا يطأ ذاك الموضع حتى يدفع عشرين أو ثلاثين جنيها وما شابه ذلك. والآخر يناقضه وينافسه ويروم اقناعه في مقام الجدل ولا يروق لهم الحديث الا اذا انتقلوا الى القذف في شرف من بينه وبينهم جامعة ديوانية، وعلاقة مجاورة منزلية، أو لاهذه ولا تلك وانما هدفهم شهرة ذكره الى معرفته فيرمونه بالجبن وعدم الذوق لكونه تربه النفس أنف من سلوكهم ويرمونه بغلظ الطبع والتقشف ويسمونه (نطا) وهم في خلال ذلك يهزأون ويسخرون ويضحكون بصوت جهوري (وقد يكون وهم ساهدون) يتبارون في ميادين البذاء واستحضار كل ماقبح وخبث من الالفاظ وهو المسمى عندهم (تنكيتا) قسموا الالفاظ الرفيعة أبوابا وفصولا ليستعملوها في هزليتهم السخيفة حتى كثرت الفصول وتنوعت المواضيع واذا تبارى اثنان منهم في باب منها استداما ساعة أو أكثر وهما مع الحضور في خلال ذلك يرفعون أصواتهم بالضحك المزعج فمن عجز منهما قبل صاحبه اوسموه توبيخا وصفقوا للمنتصر اعلانا بظفره واجلسوه مكانا عاليا ويسمونه المعلم الماهر وهذه فئة غير قليلة في المدن واكثرها من أبناء الاغنياء عديمي التربية

وأما مجالس ذوي الكمالات من أهل المدن فانها ان انفق وتجردت عن الحديث في منكر فهي لاتخلو عن حشو فانه على الاقل لابد أن يتشرف المجلس ولو زمنا قليلا بحلول الغيبة أو النميمة المرافقتين لنا

مرافقة الشخص لظله الا اذا سمحت الصدفة وكان زمن المجلس قليلا جداً لا يسع سوى التحية دون ردها وانهم لن يستطيعوا أن يبرهنوا على خلاف ذلك فاني قائل اذا لم يجلسوا مستديمين الصمت ومنصرفين كذلك فبم ينطقون ؟ هل بعلم شرعي وقد جهلوه ، أو تجاهلوه ، أم بعلم صناعي وقد عادوه ، ام فن طبي وقد تناسوه ، أو حديث عن منفعة عمومية وقد أغفلوها ، ام استفسار عن حوادث سياسية وقد زعموا ان الاشتغال بها لا ينفع فاذاً لا سبيل الا الاشتغال بألعابهم المعتادة كالشطرنج والنرد (الطاولة) وغيرهما من اصناف الملاعب وانها دون ريب لتحملهم الى أسوأ مما فروا منه كما هو مشاهد . نعم يوجد بيننا بعض الاذكياء الذين يتحدثون عن المعارف والسياسة ولكن فضلا عن كونهم نزراً يسيراً فان أعمالهم غير منطبقه على مايقولون لكونها جملا حفظوها من غير ان يعقلوا لها معنى أو لكونها أمورا اجمالية ضيقة المجال لم يبحثوا في تفاصيلها . هذه هي المجالس المنزلية

وأما المجالس التي تعقد على قهاوي الشعراء والحشاشين المخرفين فلا نستطيع تفصيل مافيها من العجائب والاحاديث الجنونية لكثرتها وتشعب مسالكها سيما حديثهم فيما يتعلق بالجن والشياطين أو خرافات المعاتيه والمجانين كما اننا نكتفي في الكلام على منتديات الارياف لانها وان قيل فيها مايتعلق بالزراعة ومصالحها ولكن لا تخلو من كلمات تدل على تمكن الحسد والحقد في أفئدتهم وان العداوة والبغضاء راسختان في ضمائرهم بحيث يعسر زوالها وهذا مع مساواة غالبهم لاهل المدن في البغي والفجور وان بعض هذه البلاد أسوأ حالا وأقبح عملا من أهل المدن كما هو معروف

فهذه أحاديثنا في مجالسنا وتلك أقاويل غيرنا في مجامعهم سردناها لذوي النقد والبصيرة معرضين عن كثير مما نتفوّه به وقت اجتماعنا ولعلنا نذكره وقتما اذا رأينا لهذه البزرة أوراقا يانعة وثمارا طيبة فيقوى فينا ضعيف الامل ويحيي ميت الرجاء ونشمر عن ساعد الاجتهاد ونطلق لسان العظة داعين الى طرق النجاح. وانا لنخشى ان تقابل هذه الجملة بما قوبلت به اخواتها من قبل كأن يقول زيد ما كتبت هذه الجملة الا للتنديد على أقوالي ويظن مثله عمرو فيصرفونها عما وضعت لاجله من خالص النصح ومحض الارشاد من غير ان تناط بشخص مخصوص أو فئة معينة فالملحوظ فيها كسابقاتها الخلق من حيث تعلقه بالافراد أيا كانت كما هو الشأن في جميع المواعظ والنصائح العمومية لا المرء المخصوص المتصف بتلك الاخلاق حتى تكون تنديداً أو طعنا فعسى ان لا نسمع بعد بمثل تلك التصورات من أحد من الناس ويعلموا ان ما كتب وسيكتب صادر عن نفوس تسعى فى تهذيب الاخلاق ما استطاعت ويسرها ان ترى أبناء الديار رافلة في حلل من الكمالات منحلية بالعزة والفخار حقق الله آمالنا وختم لنا بحسن مآلنا اه

(المنار) كتب الاستاذ هذه المقالة في ١٠ ربيع الاول سنة ١٢٩٨ أي من بضع عشرة سنة وفيها من المناسبة لحال هذه الايام ما ترى. أما ما ذكره عن أحاديث الاوربيين ومقاصدهم من ذلك فهو (١) انشاء شركاتهم بنكا في مصر لان أغنياء المصريين وعمدهم ما داموا لا ينفكون عن السفه والتبذير فهم واقعون في غمرات الديون التي تجلب على بلادهم ريب المنون، وان أنبتت تربتهم الذهب الوهاج، واعفتهم الحكومة من كل أتاوة وخراج، وقد تقرر الآن انشاء البنك في مصر (٢) انشاؤها سككا حديدية في

بعض الايالات الشرقية . وقد جاء في الجرائد الاوربية ان الكونت ولد مير كاينتز ابن أخت سفير روسيا من فينا طلب من حضرة مولانا السلطان امتيازاً بانشاء سكة حديدية جديدة من ميناء طرابلس الشام الى الكويت على خليج العجم وقد انشئت شركة مختلفة لمدها وهاتان المسألتان من أهم المسائل المالية الحاضرة الآن

وقد ذكرنا في العدد ١٨ ان الباب العالي منح امتياز سكة حديد بين قونيه والبصرة للمسيو كوتار الفرنساوي (نقلنا ذلك عن الاتحاد المصري والعهدة عليه) . وبقية ما ذكره عن الاوربيين من ارسال رسل من بلاد بلادهم ليعقدوا مع رجال بلاد اخرى شروط التزام مصالح عديدة، وقيام خطبائهم لبيان كيفية استيلائهم على البلاد البعيدة، هو الآن أشد وأكثر مما كان في سائر الاحايين، وناهيك بما هو جار في مملكة الصين، وأما ما ذكره من أحاديث أبناء هذه البلاد ومجالستهم، في معاقرتهم ومقامرتهم، فهو على ما كان في تلك الايام . نعم قد زاد لغطهم وثرثرتهم بالسياسة على الوجه الذي ذكره وهو كون أعمالهم، غير منطبقة على أقوالهم، . ولقد صدر المقالة بكلمات قال فيها عن أحاديث منتدياتنا « انها عقبات في طريق تقدمنا وظلمات متكاثفة في وجه انتظام هيئتنا الاجتماعية وحواجز دون الوصول الى محجة الرشاد وانتهاج خطة السداد وان خاله الكثير منا تمدنا وزعمه السواد الاعظم من شعار الادب وعلائم الذوق والترف » وانما لم نذكرها في صدر المقالة لانها جاءت في خلال الكلام عن وعد سابق في الكلام عن الموضوع كان وقع له ومثل ولا محل له عندنا اليوم فيصدر الكلام به

﴿ نهضة مسلمي الهند ﴾

شعرت جميع الشعوب والأمم من جميع الملل والنحل في الشرق بشدة حاجتها الى التربيـة والتعليم المفيدين للقوة والعزة المنميين للثروة الموصلين للسـعادة الا ان المسلمين كانوا أبطأ شعوراً وأضعف احساساً بذلك وأجدر بهم أن يكونوا هم السابقين لجميع الشرقيين اذ الغربيون لم يهتدوا لذلك الا بما اقتبسوه من أنوارهم من قبل . ولم يكن السبب في ذلك ضعف قابلية المسلمين واستعدادهم لان الاستعداد الطبيعي لايختلف باختلاف الاعتقاد ولا تعاليمهم الدينية لانهم كانوا أشد تمسكا بالدين علماً وعملا ايام أخذوا الفنون عن مخالفيهم وجدوا في انمائها واستثمارها ولكن العلوم لما دالت الى الغرب وغمرته بخيراتها وبركاتها ثم اندفع أهله الى الشرق مكتسبين ومستعمرين كان أول من أخذ عنهم معارفهم النصارى للتناسب بينهم في الدين ومذاهبه ثم تبعهم الوثنيون في الهند وفي اليابان وعادى المسلمون علومهم لعداوتهم السياسية حتى توهم عامتهم وجهالهم ان تلك العلوم مضادة للدين نفسه وبقي المسلمون أجيالا في الكسل والخمول لا يرجعون الى آداب دينهم التي نهضت بهم في النشأة الاولى ولا يتمسكون بالفنون العصرية التي نهض بها غيرهم — عادوا الاولى عملا والثانية قولا وعملا وتقيدوا بسلاسل العادات المضرة والتقليدات المكسلة حتى صاروا مضغة بين الافواه ، ولماظة بين الشفاه ، تلوكهم دون الامم ، وتلفظهم لفظ النواة ، وحق ساغ لمثل رزق الله حسون ان يقول

أي قطر وليس فيه يهود ونصارى وفيه بيع شراء

ولقد صدق الشاعر فان المسلمين أصبحوا أفقر الامم مع ان دينهم يأمر بالجمع بين مصالح الدنيا والاخرة، وجمهور أمتهم يفضل الغني الشاكر، على الفقير الصابر، وكتابهم يعلمهم ان يقولوا في دعائهم « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة» وقد وصف حال بعض الناس بقوله « خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين»

أليس من العجيب ان يفوق أبناء هذه الملة في الكسب أهل كتاب ينص على ان الغني لا يدخل ملكوت السموات، حتى يدخل الجمل في سم الخياط، ثم يرموهم بأن دينهم هو الحجاب بينهم وبين الرقي في مراقي العمران، والصعود على مدارج المدنية العزيزة، كما نراه في جرائد اوربا كل يوم، وكما نسمعه من أهلها وغيرهم في كل مجتمع، وقد أقررناهم على انتقاصهم لنا حيث لم نكذبهم بقول ولا عمل . نعم قد دافع عنا بعض المدافعة من ليس من أبناء ديننا كصاحب جريدة الاهرام الغراء فقد رأيت فيها غير مرة القول بأن المسلمين يساوون أو يقاربون غيرهم في الاستعداد للترقي وان دينهم لا يمنعهم اقتباس العلوم من غيرهم واننا نشكر سعادة صاحب الاهرام على مدافعته عن هؤلاء الذين رضوا بأن يكونوا مع القاصرين ولولا ذلك لدافعوا عن أنفسهم بالبرهان الاقوى وهو العلم النافع والعمل الرافع، ولا سبيل الى هذا الا بالتربية الصحيحة التي أهملوا أمرها فخرجوا من المهملين

هذا جزء من خبر المسلمين في مشارق الارض ومغاربها : تلدغهم عقارب الحوادث والمآسي الكوارث من الجحر الواحد ألف مرة وهم على

ماهم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» حتى اذا مابلغ السيل الزبى طفقوا يشعرون بحقيقة شؤونهم، ويبصرون مايحدق بالوسط الذي يعيشون فيه من الاخطار اذا ظلوا على سكونهم وخمولهم، الا ان هذا الشعور والابصار لم يهديا الى الطريق القصد ويزعجا الى السير والسلوك فيه الا مسلمي الهند فقد رأينا جرائدهم تلهج دائما بالتربية والتعليم لاسيما جريدة (محمدان) التي تطبع باللغة الانكليزية في مدراس فقد اقترحت هذه على المسلمين انشاء رسائل في التربية الاسلامية وماهو وجه الصواب فيها ووعدت بجائزة نفيسة لمن يصيب الغرض وتكون رسالته افيد للمطلوب ولا تزال الرسائل ترد عليها في ذلك واذا تسنت لنا ترجمتها فاننا ننتقدها انتقادا (البقية بعد)

مناقشة

انتقدت جريدة (الاتحاد المصري) الغراء على جريدتنا «المنار» وعلى جريدتي المؤيد ووكيل الفراوين بمواصلة الكلام على مشروع سكة الحديد بين البصرة وبور سعيد بل زعمت اننا جعلنا ابحاثنا وقفا على ترويج هذا «المشروع الاسلامي الخطير» وكررت أسفها الان ابحاثنا ذاهبة سدى واننا لم نتمكن من اتمام مانسميه «المشروع الاسلامي» وقد انحرفت زميلتنا عن الجادة في هذا الانتقاد في أربعة أمور

(١) قولها انا جعلنا أبحاثنا وقفا على ترويج المشروع . ولا تصح هذه المبالغة فيمن ذكر شيئا مرتين او ثلاثا لاسيما اذا كان هنالك اسباب عارضة دعت لاعادة القول ومعادة الكلام كمراسلة صدور وكيل الفاضل المؤيد